**/ مرجعيات ديريدا في تأسيس التفكيكية:**

وقد اعتمد دريدا على عدة منطلقات ساهمت في إرساء ونشأة مصطلح التفكيك، نحاول أن نختصرها(الثورة على البنيوية-الثورة على العقل-رفض سلطة الحضور):

**03/01 الثورة على البنيوية:**

لقد استفادت التفكيكية في بناء مشروعها النقدي من أخطاء البنيوية التي تمجد اللغة و تحويلها إلى كتل صماء،والهدف من وراء هذا أنها تحاول إستعادة الجانب الجمالي للنص الأدبي، بعد أن أسرفت البنيوية في اعتمادها للنمودج اللغوي، وإهمالها للذات المبدعة وتفريغ النص من جمالياته وإنسانيته ليصبح قالبا لغويا جامدا.[[1]](#footnote-2)

كما أن التفكيكية قامت على أنقاض البنيوية المرهقة، فقد حاول النقاد التفكيكيون استعادة الروح الجمالي والمعرفي لعالم النص الأدبي وذلك من خلال تحطيم تلك الأطر والآليات البالية التي طالما اعتنقها النقد البنيوي بتفريعاته المتباينة، يرى دريدا ومعه التفكيكيون أن البنيوية محكومة بالغائبة [...] ولا تنجو البنيوية في رأي دريدا من ميتافيزيقيا الحضور، التي تشكل الحجر الأساسي في نقد دريدا للعقل الأوروبي، لأن البنيوية حين تبدأ من البنية تفترض سلفا نوعا من التزامن اللاهوتي الذي يستنجد بسرمدية الكتاب كما يراه الله،ولهذا عنى دريدا بتمزيق البنية وتفكيكها.[[2]](#footnote-3)

**03/02 الثورة على العقل:** إن الفلسفة الغربية ولمدة طويلة كانت فلسفة عقلية بحته تمجد العقل وتأخذ به كمقياس أو كمعيار لتقييم المعرفة والحقيقة ،وقد كانت الحقيقة عند الفلاسفة القدامى من أمثال أرسطو وأفلاطون وغيرهما مرتبطة بالعقل.

وهوما جعل من ديريدا يدعو إلى النهوض بفكرة غياب المعنى وضياع الدلالة داعيا إلى انفتاح النص المكتوب وتوسيع مجاله المعنوي إلى ما لا نهاية،حيث ثار على سلطة العقل التي ارتبطت بالفلاسفة الغربيين القدامى من أمثال: أرسطو وأفلاطون[...] كما حظي العقل في الميتافيزيقا الغربية بمكان الصدارة والسمو ليصبح منبع المعرفة ومصدرها، وكان هم دريدا الوحيد هو نقض التمركز حول العقل، ، فهي دعوة صريحة لإبعاد سلطة العقل وإحلال سلطة الذات مكانها.[[3]](#footnote-4)

وعليه فقد ثار دريدا على الفكر الغربي بأسره ودعا إلى تفكيكه وتقويضه،فالفكر الغربي وطيلة قرون ظل متمحورا ومتمركزا حول ما يعرف بسلطة العقل وميتافيزيقيا الحضور.

**03/03 رفض سلطة الحضور:**  في التفكير الفلسفي نجد أن فكرة الحضور والغياب وجهان لعملة واحدة ،فقد ظل الفكر الغربي بأسره متمركزا حول فلسفة الحضور و خاضعا لسلطتها والشيء الذي ساعد على ترسيخها في الفلسفة الغربية هو ثورتها التدميرية والتقويضية، و لكنها في الوقت نفسه ثورة،فالتمركز حول العقل يؤكد نفي تعيين الوجود بوصفه حضورا كما كان شائعا في الميتافيزيقيا الغربية، وهو سعي إلى تحطيم تلك المركزية المعينة وجوديا بوصفهاحضورا لا متناهيا،[[4]](#footnote-5)وهي المركزية التي كان ديريدا أسيرا لها فكانت دائما محل نقد لديه،وهو ما جعل منه يسعى دائما إلى نقض فلسفة الحضور حيث جعل الفكر لا ينام على قناعاته ولا يتطابق مع مقولاته.[[5]](#footnote-6)

كما رأى التفكيكيون أن الفلسفة منذ أفلاطون إلى هيغل هي فلسفة حضور تختزل فيها الذات داخل الوعي باعتباره المركز في هذه الفلسفة[...] وقد توحد الفكر الغربي في إطار ميتافيزيقيا قامت أساسا على فلسفة الحضور وهي فلسفة ضربت جذورها عميقا في ساحة الفكر الغربي، ومن أجل ذلك كان دريدا أن ثار على هذه الفلسفة وسعى إلى تبديد هذا الحضور[...] ولقد أشار هيدجر إلى هذا المنحى وأكد بأن الفلسفة الغربية كانت دائما تقر بأن الشيء الموجود هو الشيء الأكثر حضورا من تلقاء نفسه[...]فلسفة الحضور التي تبناها دريدا متأثرا فيها بأفكار هيدجر من أجل بناء مفهوم آخر، هو الآخر المغاير للآخر الغائب الذي ينتج من الاختلاف، إن الإنسان أحيانا قد يعجز وعيه عن إدراك هذا الوجود وهو حاضر وبصفته حضورا فقد يكون أظهر الأشياء وأوضحها، ولكنه ورغم ذلك يكون أقل ظهورا وأكثر غموضا واحتجابا بالنسبة إلى وعي الإنسان وإدراكه ربما قد يرجع ذلك إلى قصور ونقص في طريقة إدراك الإنسان ووعيه بهذا الوجود الحاضر.[[6]](#footnote-7)

وهناك الكثير من المؤثرات كان وراء نشأة الفكر التفكيكي نذكر منها:

**أ/ لسانيات سوسير:**لقد أرست لسانيات سوسير مبدأ استقلالية اللغة عن الأنظمة المعرفية الأخرى، جاءت التفكيكية لتعيد الاعتبار إلى شباب اللغة وذلك من خلال النظر في الخطابات الأدبية والفلسفية بعيدا عن العلوم الأخرى، يضاف إلى ذلك أن التفكيكية قد استعارت من اللسانيات منهجها الوصفي، ويتجلى ذلك في وصف النظام اللامتجانس والمختلف للغة النصوص الأدبية والفلسفية، فكانت النظرة التفكيكية نظرة عمودية، وهو الأفق الذي انفتحت عليه المعرفة اللسانية ، وإذا كانت الثنائيات من المبادئ الرئيسية في فكر دوسوسير فقد أضحى غراما جديدا تجلى في أطروحات دريدا، وعلى غرار هذه الثنائيات اللسانية نسج دريدا ثنائيات من قبيل: الحضور/الغياب اللغة/الكلام الكتابة/الاختلاف...الخ.[[7]](#footnote-8)

فقول دوسوسير باعتباطية العلامة اللغوية كان لها صدى كبير لدى النقاد التفكيكيين الذين أعادوا قراءتها بمنظور تفكيكي محض، وعملوا على توسيع الهوة بين طرفي العلامة الدال والمدلول بهدف شحن الدوال بفكرة اللعب الحر الذي يؤدي إلى تحقيق مبدأ الدلالة أو تعدد المعنى بتعدد طرائقهم في اللعب والمراوغة.

إن أفكار جاك دريدا ورولان بارت وغيرهما من التفكيكيين لا تخرج عن الإطار العام الذي رسمه فرديناند سوسير، وتلامذته في شرحهم لمقولاته وآرائه اللغوية فدعاة التفكيك لم يقدموا تصورات خاصة بهم للعلامة اللغوية كما فعل سوسير، لكنهم استخدموا المبادئ والأفكار نفسها عن العلاقة بين الدال والمدلول كطرفين للعلامة، كما تبنوا الآراء السوسيرية حول استقلال النص كبنية لغوية وعزلها عن الوسائط الخارجية وأن المعنى يتحقق من حرية
العلامة داخل النسق.[[8]](#footnote-9)

**ب/ فلسفة " نيتشه"(الشك):**لقد تأثر ديريدا فالأفكار الفلسفية التي جاء بها الفيلسوف نيتشه

، ويبدو ذلك واضحا من خلال ما جاء به نيتشه في كتاباته الفلسفية القائمة على الشك في جميع الأفكار الباحثة عن الحقيقة التي تفتح المجال واسعا أمام احتمالات تحرير الفكر من الحدود الضيقة للمفاهيم القديمة التي تجاوزها الزمن.

لقد أعلن نيتشه عن موت "الإله" الذي أعطته الفلسفة العقلية المثالية مركز الصدارة في تحديد مفهوم "الحقيقة" أو "المعنى" والإله عند نيتشه هو المفهوم الحقيقي المقابل للمفاهيم التي قام عليها الفكر الغربي الفلسفي، وهي العقل "اللوغوس" والحقيقة والميتافيزيقا "عالم المثل"، ودعوته للقتل هذه إنما إشارة لتعرية هذا الفكر القائم على مفاهيم قوضت حرية الإنسان وجعلته سجين النسق المغلق "العقل"، ولقد وجدت هذه الأفكار ترحابا كبيرا في الأوساط الغربية، وبهذا المفهوم مهد لفلسفة "موت الإنسان" أو "موت المؤلف" التي أعلن عنها فوكو وبارت و دريدا، إذ قام هؤلاء بالعمل نفسه الذي قام به نيتشه حتى يحرروا الذات من سجن العقل/اللغة.[[9]](#footnote-10)

وقد ذكر نيتشه أن المعنى ليس ثابتا بل هو في رحلة غياب مستمرة لا يعرف محطة يتوقف عندها، ولن تتمكن أي قراءة من الوصول إليه حيث يقول: إن الحقيقة هي وهم بناه الإنسان في مرحلة معينة من مراحل تفكيره، وهذا الوهم يجد أصوله في رغبات العقل الفلسفي، والشعور الديني، والحس الأخلاقي.[[10]](#footnote-11)

ومن هنا نفهم أن نيتشه بفلسفته الشكية كان من الممهدين لأفكار التفكيكية،فلا يوجد فرق بين ما طرحه وما ما جاء به ديريدا.

**ج/ الفلسفة التأويلية :**إن المتتبع لفسفة كل من هايدغر وديريدا يدرك أنه بينهما تداخلا

يصل إلى حد التطابق في الكثير من المقولات، وإن كانت نظرة كل واحد منهما للغة والأدب فلسفية الجذور، فإن دريدا قد أدخل مصطلح "التدمير" من فلسفة هيدغر، وقد وصلت درجة التداخل بين المجالين ومباشر التأثير إلى استخدام "دريدا" في الطبعة الفرنسية الأولى لكتابه " "Grammatologie De la لكلمة "التدمير" المحورية في فلسفة هايدغر بدلا من كلمة "التفكيك" التي تحول إليها دريدا فيما بعد، والواقع أن بض الأفكار الأساسية لتفكيك دريدا مثل: المعرفة، اللغة، الحضور والغياب، لانهائية الدلالة، رفض الثوابت والقراءات المتعددة، غياب المركز الثابت للمعرفة، التناص، وفوق هذا وذاك مفهوم التدمير ذاته تتطابق مع فلسفة هايدغر التأويلية بصور تتخطى حدود المصادفة أو تواتر الفكر.[[11]](#footnote-12)

**د/الفلسفة الظواهرية "الفينومينولوجيا":**

ظهورها كان علامة بارزة في توجيه النقد الحداثي، رغم أن افكارها لم تكن شائعة في العالم الأنجلو أمريكي إلا في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، وقد كان لها تأثيرا في كل من البنيوية و النقد التفكيكي ونظرية التلقي، وتقوم هذه النظرية على إلغاء التفسير، و إعطاء الأولوية والاهتمام للتأويل، أي فتح باب القراءات اللانهائية والمتعددة.[[12]](#footnote-13)

**هـــ / نظرية التلقي** : وهي آخر ما تأثر به ديريدا خصوصا وأن نظرية التلقي كان لها حق السبق مقارنة بالتفكيك الذي تاخر ظهوره عنها بسنوات،

وقد شهد تاريخ النقد الأدبي المعاصر فترة كان التلقي فيها محور الحديث، ومدخل النقاش وكان ذلك لبضع سنوات قصيرة جدا في أواخر السبعينيات حينما كانت الخطوط متداخلة بينما هو حداثي وما هو بعد الحداثي/ ما هو بنيوي وما هو بعد البنيوي وكان التفكيك قد بدأ قبل ذلك ببضع سنوات من الستينيات على وجه التحدي، ولكنه لم يكن قد فرض نفسه بالكامل على المحافل الأدبية.

فقد مهدت هذه النظرية "التلقي" الطريق "للتفكيكية"، لأنهما تلتقيان في أهم مبادئهما،[[13]](#footnote-14)

ومن أبرز معطيات النظرية هو أن كل من البناء والمعنى في العمل الأدبي ينتجان عن التفاعل مع نص القارئ، الذي يجيء إلى العمل بتوقعات مستمدة من أنه قد تعلم وظائف وأهداف وعمليات الأدب، بالإضافة إلى عدد من الميول والمعتقدات التي يشترك فيها مع الأعضاء الآخرين في المجتمع، المعنى والبناء إذن ليسا خصائص مقتصرة على النص، خصائص يقوم القارئ باكتشافها، فالقارئ هو إلى حد ما، المبدع المشارك لا للنص نفسه بل لمعناه وأهميته وقيمته.[[14]](#footnote-15)

فالاختلاف بين القارئ والمؤلف هو ما جعل النص الأدبي يزخر بدلالات لا حصر لها، بفضل تعدد القراءات وهذه القراءات في حقيقتها هي خبرات القارئ من نصوص أخرى، وثقافات أخرى وهذا ما يصطلح عليه في التفكيك "التناص".

1. بشير تاوريريت، سامية راجح: التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع،ط1، 2010 ص 43. [↑](#footnote-ref-2)
2. يُنظر:بشير تاوريريت، سامية راجح: التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر،ص42. [↑](#footnote-ref-3)
3. يُنظر:بشير تاوريريت، سامية راجح: التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر،ص ص 35 36. [↑](#footnote-ref-4)
4. يُنظر:بسام قطوس:استراتيجيات القراءة،ص27. [↑](#footnote-ref-5)
5. يُنظر:بشير تاوريريت، سامية راجح: التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر ، ص41. [↑](#footnote-ref-6)
6. بشير تاوريريت: الحقيقة الشعرية، ص220. [↑](#footnote-ref-7)
7. يُنظر:محمد عبد الناصر حسن: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة،ط1 ، 1999،ص50 - 53. [↑](#footnote-ref-8)
8. كريستوفر نورس، التفكيكية بين النظرية والتطبيق، تر عبد الجليل جواد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا،ط1 ،1992، ص 8. [↑](#footnote-ref-9)
9. يُنظر:عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط1ن 2005، ص59 . [↑](#footnote-ref-10)
10. يُنظر:نفس المرجع،ص60. [↑](#footnote-ref-11)
11. يُنظر:عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك،عالم المعرفة،1998، ص 263-266. [↑](#footnote-ref-12)
12. يُنظر:عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر،ص 88. [↑](#footnote-ref-13)
13. يُنظر:عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك،ص279. [↑](#footnote-ref-14)
14. يُنظر:عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك،ص281. [↑](#footnote-ref-15)